

## سيد قطب شاعراً (دراسة وتحليل في خصائصه الشعرية)

فاروق نعمتي<sup>١</sup>، علي سليمي<sup>٢</sup>، جهانگیر أميري<sup>٣</sup>

١. أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة بيام نور، إيران  
٢ و ٣. أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة رازی، کرمانشاه

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٤/٨/١٩؛ تاريخ القبول: ٢٠١٤/٩/٢٢)

### الملخص

سيد قطب، هذا الأديب الناقد الذي نعرفه عبر تراثه الإسلامي والقرآني، أكثر من أشعاره وأدبه. بدأ حياته شاعراً وشارك في ميدان الشعر بعددٍ وافٍ من القصائد التي نشرت في عدد من المجلات السائرة آنذاك، ثم جمعت في مجموعة واحدة بعنوان "الشاطئ المجهول"، إلا أن مكانته في التفسير والعلوم الإسلامية غطت شهرته الأدبية والشعرية. ترمي مقالتنا هذه إلى الكشف وإزالة الستار عن أهم المقومات والخصائص التي تكوّن النسيج الشعري لسيد قطب، أخذاً بنظر الاعتبار أن شعره ما زال بكاراً، فهو أشبه ما يكون بطريق غير واضحة المعالم. ونحاول في هذا المقال إعطاء صورة واضحة شفافة لشعره ونفض غبار الجهل عنه. يُذكر أن الأسلوب الذي اعتمدنا عليه في إعداد هذا البحث هو المنهج التحليلي مع ذكر بعض نماذج شعرية من ديوان الشاعر.

### الكلمات الرئيسية

الخصائص الشعرية، سيد قطب، الشعر المصري المعاصر.

## مقدمة

الأدب يتكوّن من عناصر تميّزه عن غيره وتعطيه حياةً أبديةً، ومجال الشعر الذي يكون نوعاً راقياً من الأدب هو الشعور، سواء أثار الشاعر هذا الشعور في تجربة ذاتية محضة كشف فيها عن جانب من جوانب النفس، أو نفذ من خلال تجربته الذاتية إلى مسائل الكون، أو مشكلة من مشكلات المجتمع، تتراءى من ثنايا شعوره وإحساسه. «فإثارة الشعور والإحساس مقدّمة في الشعر على إثارة الفكر، على النقيض من المسرحية والقصة، فإثارة الفكر من طبيعة العمل الفني فيهما قبل إثارة الشعور، ولذا كان موقف القاصّ أو المسرحيّ من المسائل والمشكلات موقفاً تحليلياً، في حين يظلّ موقف الشاعر في تصويره تجميعياً أكثر منه تحليلياً» (غنيمي هلال، ١٩٦٤، ص ٢٨٣). فالشعر يعتمد على شعور الشاعر بنفسه وبما حوله شعوراً يتجاوب هو معه، فيندفع إلى الكشف فنياً عن خبايا النفس أو الكون استجابة لهذا الشعور. أضف إلى ذلك أنّ الكلمات والعبارات في الشعر يقصد بها بعث صور إيحائية، وفي هذه الصور يعيد الشاعر إلى الكلمات قوّة معانيها التصويرية الفطرية في اللغة.

سيد قطب<sup>١</sup>، الأديب الذي قدّم حياته في سبيل الدعوة التي آمن بها، والذي لم تلهه

١. سيد قطب إبراهيم الشاذلي، وُلد عام ١٩٠٦، في قرية «موشا» من محافظة أسيوط في مصر. تخرّج عام ١٩٣٣ من دارالعلوم حاملاً شهادة الليسانس في الآداب. التحق بحركة «الإخوان المسلمين» وخاض في معاركهم التي بدأت منذ عام ١٩٥٤، بدءاً من اعتقاله في نفس السنة، عندما اتّهم الإخوان بمحاولة اغتيال الرئيس المصري «جمال عبدالناصر». أفرج عن سيد قطب في عام ١٩٦٤، ولكنه عاد إلى السجن مرة أخرى وحُكّم عليه وعلى مجموعة من أعضاء الإخوان بالإعدام، ونُفذ فيه الحكم في فجر الإثنين عام ١٩٦٦ (انظر: الخالدي، ١٩٩١، صص ٢٢٣-٤٨٢). لقد مارس سيد قطب حياته العلمية أديباً وناقداً ولكن لم يعرفه كثير من الناس إلا كمفكر ومفسّر إسلامي، وذلك من خلال دراساته الإسلامية المتعدّدة مثل «في ظلال القرآن»، «العدالة الاجتماعية في الإسلام»، «معالم في الطريق» و... وقد أهمل ثقافته الأدبية والنقدية من جانب الكثيرين وبذلك، ترك أدبه ومدرسته النقدية في زاوية النسيان. (سرباز، ١٤٢١، ص ٤٢) مارس سيد قطب نظم الشعر في فترة مبكرة من حياته، فأخرج ديوانه الأول في عام ١٩٣٥، وديوانه الثاني في ١٩٣٧؛ وكانت الفترة من ١٩٣٠ إلى ١٩٤٠، فترة ازدهار شاعريته (حسين، ١٩٩٣، صص ١٣٧-١٣٨). وله فضلاً عن ديوانه آثار أدبية رائعة، إليك نماذج منها:

(أ) التصوير الفني في القرآن الكريم: أول كتاب إسلامي له، يقوم على تقرير القاعدة العامة المطّردة للتعبير القرآني، وهي قاعدة «التصوير الفنّي»، حيث يستخدم القرآن طريقة التصوير في مختلف موضوعاته وأغراضه. وقد أثر هذا الكتاب في الدراسات البيانية الجمالية للقرآن، التي ظهرت بعده.

(ب) مهمّة الشاعر في الحياة وشعر الجيل الماضي: أول كتاب نقديّ كتبه سيد قطب وهو في الأصل كان

الحضارة الغربية عن الصواب وإدراك ما فيها من حقّ وباطل، بل منحتة فرصة المقارنة بينها وبين حضارة الفكر الإسلامي الصحيح، وكانت النتيجة أنّه آمن بالأخيرة عن يقين وثبات، ونقد الأولى وهاجمها انتقاد خبير وهجوم بصير. إنّهُ فوق هذا كان شاعراً يملك الموهبة، موهبة الإبداع والتذوّق، خلال ثلاثين عاماً مع الشعر، غاص في أعماق النفس البشرية فأخرج لنا عشرات القصائد التي تنمّ عن نفس رقيقة شاعرة، لكنّها عزيزة أليّة غير هيّابة؛ قصائده هادفة في ظلال الإيمان والعفاف، وأبياته كلمات حسّاسة معبرة وأساليب رقيقة مؤثّرة، تجعل الإنسان مستمتعاً منتشياً، بل يذوب وجداً مع واقع الدنيا.

في هذا المقال، نستقصي الخصائص والميزات الفنيّة في شعر سيد قطب<sup>١</sup> ونحاول الإجابة

عن السؤال التالي:

ما هي خصائص شعر سيد قطب وميزاته؟

#### دراسات سابقة

هناك دراسات وكتب كثيرة تدرس الجانب الديني من شخصية سيد قطب، ولكن ميزاته الأدبية لم تحظ بالناية كما هو حقّه؛ فهناك مقالات وبحوث، نذكر منها على سبيل المثال ولا الحصر:

«سيد قطب؛ الكاتب المصري المعاصر» للكاتب علي منتظمي (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طهران، الخريف والشتاء ١٣٧٥ش)؛ يتحدّث فيها عن بعض المحطّات من حياة سيد

محاضرة ألقاها في قاعة كلية دارالعلوم وطبع هذا الكتاب سنة ١٩٣٢م. تحدّث سيد قطب في هذا الكتاب عن: مهمّة الشاعر في الحياة، من هو الشاعر؟، الخيال في الشعر، ذوق الشاعر، التعبيرات الشعرية، وشخصيّة الشاعر.

ج) كتب وشخصيات: كان في الأصل مقالات نقدية كتبها المؤلّف في مجلّات مختلفة كالرسالة، والمقتطف، وغيرهما، ثمّ طبعها بهذا العنوان سنة ١٩٤٦م واختار في الكتاب شخصيات أدبية وتصدّى لتحليل ونقد هذه الشخصيات وآثارهم الشعرية والنثرية.

د) النقد الأدبي: أصوله ومناهجه: هذا الكتاب كان أهمّ أثر نقدي لسيد قطب والذي طبع سنة ١٩٤٨م. تحدّث المؤلّف في هذا الكتاب عن مناهج النقد الأدبي

هـ) المدينة المسجورة: قصّة خياليّة أسطوريّة، استوحاها من قصص ألف ليلة وليلة.

١. كان اعتمادنا في هذه المقالة، على ديوان سيد قطب، الذي جمعه وقدم له «عبدالباقي محمد حسين» في مجلد واحد وطبعه سنة ١٩٩٢م. هذه الأعمال الشعرية جمّعت من مصادرها الأصلية، وهي الدوريات التي كانت ينشر فيها أشعار سيد قطب، مثل: الرسالة، وأبولو، والأهرام، والأسبوع، وغيرها من المجلات والصحف.

قطب والتعريف ببعض آثاره. «نظرة إلى المراحل والخصائص النقدية لسيد قطب» للكاتبين خليل پرويني وحسين چراغى وش (مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، الصيف، ١٣٨٥ش)؛ يتحدث فيها عن آراء سيد قطب النقدية وميزاتها. «قياس خاصة تنوع مفردات في الأسلوب: دراسة تطبيقية لنماذج من كتابات محمد مندور وسيد قطب ومحمد غنيمي هلال» للكاتب هومن ناظميان (مجلة اللغة العربية وآدابها، شتاء ١٤٢٧هـ)؛ كانت هذه المقالة دراسة لغوية في آثار هؤلاء الأدباء ومنهم سيد قطب. «سيد قطب وتراثه الأدبي والنقدي» للكاتب حسن سرباز (مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة طهران (فرديس فارابي)، ربيع وصيف ١٤٣١هـ)؛ يتحدث عن التأليفات الأدبية والنقدية لسيد قطب. «أصداء شعر العقاد في شعر سيد قطب» للكاتب حسن أحمد عبدالحميد (مجلة كلية اللغة العربية، القاهرة، ١٤١٦هـ)؛ هذه المقالة رصدت بعض التشابهات بين شعر سيد قطب والعقاد. «خصائص التصوير الفني في شعر سيد قطب» للكاتبين كمال أحمد غنيم، وحنان أحمد غنيم (مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٨م). يتحدث فيها عن بعض الجماليات الفنية والبلاغية في شعر سيد قطب. «أسلوبية التكرار في التعبير عن شعور الاغتراب: شعر سيد قطب نموذجاً» للكاتبين جهانغير أميرى وفاروق نعمتى (مجلة جامعة القدس المفتوحة، فلسطين (رام الله)، ٢٠١٢م). تدرس هذه المقالة شعر سيد قطب من الناحية الأسلوبية التي تعبر عن الحس الاغترابي لدى الشاعر. في كل هذه المقالات والبحوث لم تدرس المعالم الفنية والخصائص الشعرية في شعر سيد قطب وهذا المقال سيتولى إنجاز هذه المهمة وهو يكاد يكون جديداً مبتكراً في هذا المجال.

### سيد قطب وشعره

بدأ سيد قطب يكتب الشعر، ونشر ديوانه الأول «الشاطئ المجهول» سنة ١٩٣٥م. اختيار هذا الاسم للديوان ربما يرجع إلى أن الشاعر «يرى أن الحياة هي بحر مجهول الكنه والحقيقة والغاية، وأنه هو يقف على شاطئ ذلك البحر المجهول» (الخالدي، ١٩٩١، ص ٢٢٢). ولكن «لم يحقق هذا الديوان نجاحاً يتساوى مع ما حققته دواوين أبناء جيل سيد قطب، ولم يتوقف أحد من النقاد الكبار أمام هذا الديوان» (النمنم، ١٩٩٩، ص ٢٩)، حتى إن البعض وصف أشعاره «بضعف التعبير أحياناً، وخطابيته وتقريريته أحياناً أخرى» (شلس، ١٩٩٤، ص ٢٣). لكن كل هذا يرجع إلى غلبة الساحة الدينية والسياسية على شخصية وفكر سيد قطب وتجاهل مقدرته الشعرية والأدبية.

في الحقيقة، اتّسم شعر سيد قطب «بعمق النظرة إلى مشكلات الوجود ومظاهر الحياة، وبالتوهج العاطفي وصدق التعبير عن النفس» (هيكل، ١٩٧٨، ص ٣٥٢)، وكان يميل في شعره إلى استخدام الصور والظلال وإضفاء الحياة على الجمادات، وبذلك يُعدّ من الشعراء المصورين، ولا غرابة في ذلك؛ لأن التصوير والتخييل هو الصفة الغالبة على أسلوبه، وإنّ لهذه الصفة جذوراً عميقة راسخة في نفسه وشعوره ومخيلته وأحاسيسه (الخالدي، ١٩٨٩، ص ٥٧). تناول سيد قطب في شعره، قضايا مختلفة مثل إحساس الشاعر بالكون، وعلاقته بالله وبالحياء وبالناس، وإحساسه بالزمن، ومثل قضية المرأة والقضايا الاجتماعية والوطنية.<sup>١</sup> اللغة الشعرية عند الشاعر كانت حيّة نابضة، في نسيجها رصانة اكتسبها من خبرته بالشعر القديم؛ ولكنها في العموم رقيقة عذبة تنأى عن المفردات الغريبة. وسرّ الكلمة عنده يكمن في استمدادها من ضمائر الشعوب، ومن مشاعر الإنسان، ومن صرخات البشريّة، ومن دماء المكافحين الأحرار؛ إذ يقول: «إنّ السرّ العجيب ليس في بريق الكلمات وموسيقى العبارات؛ إنّما هو كامنٌ في قوّة الإيمان بمدلول الكلمات وما وراء المدلولات! إنّهُ في ذلك التصميم الحاسم على تحويل الكلمة المكتوبة إلى حركة حيّة والمعنى المفهوم إلى واقع ملموس» (قطب، ١٩٨٠، ص ١٣٨).

يظهر من شعر سيد قطب أنّه أميل إلى التجديد في شعره منه إلى المحافظة ويميل إلى الرومانسيّة باتجاهيه الذهني المتأثر بمدرسة «الديوان» وشخصيّة العقّاد، والوجداني المتأثر بمدرسة «أبولو»، حيث نجد في شعره تدقّق العاطفة وحرارتها، وصدق التجربة، وحبّ الحقّ والخير والجمال، وحبّ المثل العليا، وتحليل المواقف الإنسانيّة، والامتزاج بالطبيعة والذوبان فيها، ويدلّ على هذه النزعة الرومانسية في شعره عنوان ديوانه الأول «الشاطئ المجهول»، كما يدلّ عليها عناوين بعض قصائده مثل «النفس الضائعة»، «وحي الخلود»، «حليم النيل»، وغير ذلك.

ويبدو بأنّ سيد قطب كان «أقرب شعراء جيله من روح التجديد الراشد وأشدّهم تأثراً برائد المجددين عباس العقّاد، تنظيراً وتطبيقاً» (عبد الحميد، ١٤١٦، ص ١٢٣). كل أشعاره تجارب إنسانية عامّة يمرّ بها كلّ إنسان بصرف النظر عن لغته وثقافته ووطنه وقومه. يخلو شعر سيد قطب من المدح والفخر والهجاء، وكان بعيداً عن الغزل الحسي الفاحش الذي يصدر عن شهوات النفس وملذّاتها، وقلّ في شعره الرثاء، «خوفاً من أن يندرج تحت

١. إنّ سيد قطب نفسه كناقِدٍ أدبيّ تولّى نقد شعره فيما بعد في ضوء التصرّو الإسلامي، لتبيين انحراف نماذج من شعره عن القيم الإسلامية (أنظر: البديوي، ١٤٠٦، صص ١٠٠-١٠١).

اسم شعراء المناسبات» (حسين، ١٩٩٣، ص ٣٩٧). الموضوعات التي عالجها سيد قطب في ديوانه هي:

١. التمرد ٢. الشكوى ٣. الحنين ٤. التأمل ٥. الغزل ٦. الوصف ٧. الرثاء ٨. الوطنيّات.

### مفهوم «الشعر» عند سيد قطب

إنّ سيد قطب كشاعرٍ رومانسي ومن أتباع العقاد في مدرسة الديوان الشعرية حاول أن يقدم رؤية جديدة للفن الشعري، ووظائفه ومقوماته الفنية. فالأدب عند العقاد هو الذي يعبر لنا فيه صاحبه «عن الدنيا كما يحسّها هو، لا كما يحسّها غيره، لأنّ الشاعر إنسان له ذوق ومواهب وفهم وتجربة، وأخلاق وعادات لا يشبه فيه الآخرين ولا يشبهه الآخرون فيها...» (العقاد، دون تا، ص ١٦٣). فهكذا رأى سيد قطب عند تعريفه عن العمل الأدبي، بأنّه «التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية» (قطب، ٢٠٠٦، ص ١١). فالشاعر الحقيقي عنده «هو الذي يحسّ بالحياة إحساساً عميقاً، ويترجم عنها للأحياء...» (قطب، ١٩٩٦، ص ١٤)؛ وفي فهمه لطبيعة الشعر ووظيفته، يذهب إلى أنّه «يحدّثك في أعماق نفسك، ويصف لك الشعور الحساس وشفافاً غامضاً مبهماً، يدع لشعورك أن ينطلق، ولخيالك أن يتيه، لأنّه لا يضع أمامك مقاييس وحدوداً، ولكنّه يدعك في ميدان فسيح من عالم الروح الرحيب» (قطب، ١٩٩٦، ص ١٢). يعتبر سيد قطب الشعر نعمةً من أنعم الحياة وآية من آيات الجمال البارعة، فيقول في قصيدة «سعادة الشعراء» واصفاً حقيقة الشعر:

الشُّعْرُ مِنْ نِعَمِ الْحَيَاةِ عَرَفْتُهُ      وَعَرَفْتُ فِيهِ الْبُؤْسَ ضَرْبَةَ لَأَزِبِ  
الشُّعْرُ ذَوْبٌ حُشَّاشَةٌ مَسْفُوكَةٌ      أَلَمًا وَوَجَدًا فِي حَنِينِ ذَاهِبِ

(قطب، ١٩٩٢، ص ٥٣)

إذاً الشعر عند سيد قطب، هو «الذي يخاطب العاطفة المبهمة أكثر مما يخاطب الفكر المحدود؛ العاطفة التي لا تعرف القيود ولا التحديد، ولكنّها تتيه في كلّ واد» (قطب، ١٩٩٦، ص ٦٤). الشعر هو الذي «ينطلق صرخات عميقة قويّة، وأشجاناً وجدانيةً لطيفة، وسبحات علويةً شفيفة، وفرحات رقافة طليقة» (قطب، ١٩٨٣، ص ٧٠). إنّ مهمّة الشعر «يجب أن يكون تعبيراً عن لحظات الإشراق والتهويم، ولحظات التوهج والانطلاق في النفس الإنسانية، تلك اللحظات التي يستحيل فيها الشاعر روحاً أكثر ما تكون تجرّداً، أو حسّاً أشدّ ما يكون توهجاً» (قطب، ١٩٨٣، ص ٧٠).

## مميزات شعر سيد قطب وخصائصه

الصبغة الرومانسية<sup>١</sup> في شعره

شعر سيد قطب كان عاطفياً وجدانياً رومانسياً، كما يقول «حسن حنفي» في مقدمة ديوان الشاعر (قطب، ٢٠٠٨، ص٦). ويرجع هذا إلى اتصال سيد قطب بالعقاد؛ إذ فرض عليه قراءة أشعاره وتحليلها واستيعاب آرائه النقدية والدفاع عنها؛ هذا يعني «أن سيد قطب قد تعرّف على كثير من الشعر الرومانسي من خلال قراءته لشعر العقاد، وأيضاً من خلال اطلاعه على الشعر الذي كان يترجمه العقاد عن شعراء الرومانسية الأجانب» (حسين، ١٩٩٣، ص١٠٨).

أعجب سيد قطب بالأدب الشرقيّ لاسيما «حافظ الشيرازي»؛ هذه النزعة إلى الشرق والحياة الشرقية كانت سبباً آخر في تكوين الشعور الرومانسي عند سيد قطب؛ لأنّ الرومانسيين نشأوا في عصر التثوير الذي كان العقل فيه مسيطراً عليه، فانزعجوا من صولة العقل الجامحة وأرادوا أن يلفّوا أرواحهم بشيء لا صلة له بالعقل. وهكذا صار كثير من الأدباء الرومانسيين ومنهم سيد قطب، مشتاقين إلى الأدب الشرقيّ وحتّى نرى سيد قطب، يستلهم في بعض مضامينه الغزلية من الحافظ الشيرازي وغزله.

لقد اقترنت النزعة الرومانسية عند سيد قطب بميزات، تتمثّل فيما يلي:

أ) صارت القصيدة عنده تجربة شعورية، قادرة على مخاطبة مشاعر الآخرين، وتحريكها وإثارتها.

ب) جعل الشاعر أجزاء القصيدة ترتبط موضوعاً واحداً، تتحرّك فيه نحو غاية محدّدة، وهذا ما حقّق لها وحدتها الفنيّة. ج: اعتماده على الخيال إلى حدّ بعيد في بناء القصيدة ممّا جعلها بناءً تصويرياً، وهذا ما جعل القصيدة عنده لها مذاقاً خاصاً وجديداً.

فمثلاً إنّ الاغتراب عن الوطن، والبعد عن الأهل والديار وذوي القربى، وفراق الأحبة، يؤجّج العواطف ويلهب شعور المغترب الذي طوّحت به أيدي النوى، وهو يحسّ بالوحدة، وألم الفراق وعذابات البين، فلا يجد بداً من اللجوء إلى ذكرياته السالفة، يجد فيها الأُنس والترويح ويلتمس عندها الطمأنينة والسلوى وهو يقاسي آلام الغربة وجراحاتها؛ ويلتمس بلهفة شديدة من صاحبيه أن يستعيدا له ذكريات الماضي وأمانيه العذبة، ويتحدّث له من أيام طربه التي لا يعتني فيها بصروف الدهر وحدثانه، ويصفا له أيضاً ليالي قضاها في أنس ومرحٍ ولهو

ولعب، فكأنه يحلم وليس بحالم بل كل ما وجده من لذة وتسلية كان حقيقة تجري على أرض الواقع بحيث يلمسها بكل جسده وروحه ثم ينتقل الشاعر إلى رياض الوطن الخلابه وحدائقه الغناء التي تشدو فيها الطيور بألحانها الشجية وتفوح فيها الأزهار بروائحها الشذية، ثم يريد الشاعر من خليليه أن يجدد له ذكر ما طوته يد النسيان. يعيش الشاعر عند تذكر الماضي حالة شعورية مشحونة بالحنين والاعتراب ويعتبر هذا الشعور الاغترابي أفضل بديل للأيام التي خلت، وذكراياتها التي مضت؛ ولذلك يتلهف على الماضي بحرارة ويؤجج في نفسه الشوق إليه والرغبة فيه، فيقول في قصيدته «جولة في أعماق الماضي»:

وَأَعِيدَا إِلَيَّ عَهْدَ الْأَمَانِي	حَدَّثَانِي بِمَا مَضَى حَدَّثَانِي
لَا أَبَالِي بِحَادِثَاتِ الزَّمَانِ	وَأَذْكَرَا لِي زَمَانَ عِشْتُ طُرُوبًا
كُنْتُ فِيهَا كَالْحَالِمِ الْوَسْنَانِ	وَصَفَا لِي لِيَالِيًا قَدْ تَقَضَّتْ
دَ وَلَحْنِ الطُّيُورِ عَذْبِ الْأَغَانِي	صَوْرًا لِي الرِّيَاضِ وَالزَّهْرِ وَالْوَرِّ
لَا تَصْدَى لَهَا يَدُ النَّسِيَانِ	وَأَعِيدَا لِمَسَمَعِي ذِكْرِيَاتِ
لَيْسَ لِي سَلْوَةٌ سِوَى التَّحْنَانِ	وَأَسْمَحًا لِي بِزَفْرَةٍ وَحَنِينِ

(قطب، ١٩٩٢، ص ٧٤)

يُذكر أن الخطاب إلى اثنين في هذه الأبيات واستعمال لفظة المثني في كل الأفعال الواردة فيها، كان أسلوباً تقليدياً في الشعر الجاهلي؛ إذ نرى امرؤ القيس يبدأ معلقته الشهيرة بهذا الأسلوب.<sup>١</sup>

نرى في شعر سيد قطب الشوق للوطن الذي كان من أهم الملامح الشعرية عند الرومانسيين؛ إذ هو يتلهف ويحن إلى بلده مصر ورباه وثره وصباه، ثم يتطرق حنين الشاعر إلى الليالي التي قضاه مع رفاقه، فيبدو الشاعر في هذه الأبيات متعطشاً لزيارة بلده وذكراياته الجميلة التي عاشها في مصر منطلقاً في وهادها وهضابها ومتقلباً بين وديانها وجبالها؛ ثم يتمنى الشاعر لو ضم حفنة من تراب بلده وملأ كيانه من ريحه ويقضي ليلة واحدة في وطنه مع خلّانه منهمكاً في الملاهي والملاذ على غرار أيامه الماضية. والأمل الوحيد الذي يعيشه الشاعر بكل لهفة وطمأ هو أن يزور وطنه مرة أخرى، وفي استخدام الشاعر أسلوب الاستفهام للتعبير عن هذا الأمل دلالة واضحة على شدة حنينه وشغفه لرؤية الوطن، ذلك لأن استفهام الشاعر عن إمكانية تحقق آماله وأمانيه يعتبر لدى البلاغيين محاولة تعبيرية جادة للإفصاح عن حبه الجم ورجبته الملحة في بلوغ

١. أعني هذا البيت: بسقط النوى بين الدخول فحومل

فما نيك من ذكرى حبيب ومنزل



وأمنيته ومآربه، ولم يتوان الشاعر جهداً في توظيف الأساليب البيانية المؤثرة للتعبير عن أفكاره وآماله بما فيها أسلوب الاستفهام والتكرار والتمني والتعجب وما شابه ذلك من الأساليب البيانية التي دأب كبار الشعراء على استخدامها في أشعارهم:

فِي النَّفْسِ يَا مِصْرُ شَوْقٌ	لِخَطَرَةٍ فِي رِبَاكَ
لِضَمَّةٍ مِنْ ثَنَّاكَ	لِنَمْحَاةٍ مِنْ هَوَاكَ
لِلْيَلَّةِ فِيكَ أَخْرَى	مَعَ الرَّفِّاقِ هُنَاكَ
ظَلْمًا أَنْ تَهْتَفَ رُوحِي	مَتَى تَسْرَانِي أَرَاكَ؟

(قطب، ١٩٩٢، ص ٩٩)

الشاعر يرسل سلامه وتحيته لبلدٍ اعتبره مهداً للرجاء ومهبطاً لأحلامه. فسيد قطب بلغ تحيةً خاصة للريف دون المدينة لما يحتوي الريف من ذكريات وأحاسيس احتلت مكانة مرموقة في قلب الشاعر. يخاطب سيد قطب في الأبيات التالية الريف وكأنه إنسان يسمع كلامه ويتجاوب مع مشاعره الحزينة فيحييه أجمل تحية. أثار الريف في نفس الشاعر الشعور بالخلود وسرمديّة، وهذا الشعور مازال يجري في عروقه وشرابينه جريان الدم. ليس الريف في نظر الشاعر مجرد بيئة نشأ فيها وترعرع بل إنه مأوى آماله ومعنى أحلامه ومكمن أسراره. لقد كبر فيه الشاعر بطموحاته وتطلعاته، فكل عنصر من عناصر الريف يذكره آمالاً اختلطت بلحمه ودمه. فكأنما استرجع الشاعر ذكرياته الصبانية تبدت في مخيلته صورة الريف بمناظره الجميلة ومشاهده الأخاذة، فامتزج في ذهن الشاعر صورة الريف مع أحلامه وأوهامه امتزاجاً حقيقياً:

مَهْدَ الرَّجَاءِ وَمَهَبَطَ الْأَحْلَامِ	وَمَطْنِي عَلَيْكَ تَحِيَّتِي وَسَلَامِي
يَا رَيْفُ فِيكَ مِنَ الْخُلُودِ أَثَارَةٌ	تَسَابُ فِي خَلْدِي وَفِي أَوْهَامِي
وَتَرْدُ إِحْسَاسِي إِلَيْكَ إِذَا خَلَّتْ	نَفْسِي إِلَى الْأَمَالِ وَالْأَلَامِ

(قطب، ١٩٩٢، ص ٨٥)

كان الرومانسيون منعزلين عن المجتمع والشاعر الرومانسي يريد أن يغترب ويتخلص من المعاناة التي يفرضها عليه المجتمع. وفي الواقع كل هذه المضامين محاولة جادة للتخلص من المجتمع والاعتراب منه. ولهذا الاعتراب تظاهرات روحية مختلفة لدى الشاعر فتارة نراه يحزن وينعزل عن المجتمع، وتارة يتظاهر بالمرض ويتمنى الموت وربما تكون هذه الأحوال التي تطرأ على نفسيّة الشاعر تجليات رومانسيّة عن حالة الاعتراب التي يعيشها الشاعر؛ كما نجد الحالة نفسها لدى سيد قطب في الأبيات التالية التي يعبر فيها عن غربته الروحية في أجمل تعبير:

غَرِيبٌ أَجَلَ أَنَا فِي غُرْبَةٍ      وَإِنْ حَفَّ بِبِي الصَّحْبُ وَالْأَقْرَبُونَ  
 غَرِيبٌ بِنَفْسِي وَمَا تَتَطَوَّى      عَلَيْهِ حَنَايَا فُوَادِي الْحُنُونُ  
 غَرِيبٌ وَإِنْ كَانَ لَمَّا يَزَلَّ      بِيَعَضُ الْقُؤُوبَ لِقَلْبِي حَنِينُ  
 غَرِيبٌ فَوَا حَاجَتِي لِلْمُعِينِ      وَوَا لَهْفَ نَفْسِي لِلْمُخْلِصِينَ

(قطب، ١٩٩٢، ص ٦٣)

إنَّ التكرار هنا في كلمة «غريب» أربع مرّاتٍ في كلِّ بيتٍ ينقّب عن طبقات المعنى ويقوم بدور «التعويض» عن تلك الحالة الشعورية المسيطرة على الشاعر، ليصل إلى العمق المطلوب وهو التعبير عن اغترابه؛ «إنَّ الغربة التي يعيشها سيد، ليست غربةً عاديةً يعيشها أيُّ إنسان غريب يسكن خارج وطنه بعيداً عن أحبائه وأقاربه؛ إذ أنَّ سيد قطب كما صرّح في هذه الأبيات يقيم وسط أصحابه وأقرانه ويتمتع برعايتهم وعطفهم وحنانهم. إنَّما يكون هذا الاغتراب الذي بداخله ناجماً عن شعوره بالوحدة والانفراد في عالم الكون، فهو غربة فلسفية إن جاز التعبير» (أميري ونعمتي، ٢٠١٢، ص ١٢٦). من أجل ذلك نرى أنَّ سيد قطب ينادي وبكلِّ وجد وانفعال مَنْ يُعِينه ويناصره على حمل هذا الشعور الاغترابي لعله يخفّف من وطأته التي تكاد تزول منها الجبال.

يؤكد سيد قطب على هذه الغربة الروحية ويعتبره أشدَّ وأقوى من الغربة الجسمية؛ إنَّه يتخيّل

نفسه منفرداً في وادٍ غريب لا صديق فيه ولا أنيس وهو محاطٌ بالأحزان والأشجان، حيث يقول:

وَحَدَّةُ الْأَرْوَاحِ أَنْكَى الْوَحَدَاتِ      وَحَدَّةُ الْأَجْسَامِ تُنْسَى وَتَهْوُونَ  
 أَيُّ بُؤْسِي تَسْتَحِثُّ الذِّكْرِيَاتِ      كَانْفِرَادِ الرُّوحِ فِي وَادِي الشُّجُونِ  
 إِنَّ رُوحِي قَدْ تَنَاسَتْ «خُذْ وَهَاتِ»      وَأَنْزَوَتْ فِي عَالَمِ جَمِّ السُّكُونِ

(قطب، ١٩٩٢، ص ٣٩)

الذوبان في الطبيعة والتحدّث معها، والحبّ والتغزّل، والسياحة في عالم الخيال، والثورة على المجتمع وأفكاره، والإشادة بالحرية، والإحساس بالألم والحزن، كانت من أهمّ الملامح الرومانسية في شعر سيد قطب. في أكثر هذه الملامح نرى سيطرة القوى الروحية عند الشاعر سيطرةً تذهب بأفكاره ومشاعره إلى متاهات الخيال الأرحب.

توظيف الكلمات القرآنية في الشعر

يعدّ استخدام الكلمات القرآنية من أبرز التقنيات الفنية التي عني بها سيد قطب في شعره واحتفى بها بوصفها لوناً من الأساليب البيانية التي تمنح النصّ ثراءً وغنى؛ إذ إنَّ شاعرنا وهو صاحب تفسير «في ظلال القرآن» كان متأثراً بالتعاليم الإسلامية والقرآنية، فمن

الطبيعي أن ينعكس ذلك على شعره، لذلك نجده قد اقتبس في شعره من بعض الآيات، كما استخدم كثيراً من مفردات القرآن؛ فخذ نماذج من هذا في شعره:

قَدْ اخْتَارَنَا اللَّهُ فِي دَعْوَتِهِ      وَأَنَا سَنَمُضِي عَلَى سُنَّتِهِ  
فَمِنَّا الَّذِينَ قَضَوْا نَحْبَهُمْ      وَمِنَّا الْحَافِظُ عَلَى ذِمَّتِهِ  
(قطب، ١٩٩٢، ص ٢٩٣)

استخدام الآية: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب/٢٣).

وَتَقَالِيدٌ وَأَسْرَىٰ يَعْجُدُونَ      هَذِهِ الْأَصْنَافُ مَعْلُولِي الْفِكْرِ  
وَإِذَا نُرِتْ عَلَيْهَا يَسْخَطُونَ      وَيَقُولُونَ تَمَادَىٰ وَكَمَرًا  
(قطب، ١٩٩٢، ص ٤٠)

المصرع الأخير من البيت الثاني كان صدى لغوياً من الآية: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ \* لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ \* إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ (الغاشية/٢٣).

أَحْيَاءُ هِيَ أُمَّ نَارُ الْجَحِيمِ      بِلِظَاهَا الْهَائِجِ الْمُسْتَعْرِ  
لَا. فَفِي نَفْسِي مِنَ الشَّجْوِ الْأَلِيمِ      مِنْ حَيَاتِي فَوْقَ مَا فِي سَقَرٍ  
(قطب، ١٩٩٢، ص ٤٢)

كلمات «لظى» و«سقر» كانتا من المفردات القرآنية: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ دُوفُوا مَسَّ سَقَرٍ﴾ (القمر/٤٨)، ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ (الليل/١٤)، ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَطَىٰ \* نَزَاعَةٌ لِّلشَّوَى﴾ (المعارج/١٥-١٦).

أَمْ لَأَشْكُوِي وَلَأَبَثَّ شَجَنٌ      لَأَأْرِيدُ الضَّعْفَ. كَلَّا. لَأَأْرِيدُ  
سَوْفَ لَأَيَطْهَرُ مِنِّي مَا كَمُنَّ      فَلْيَشُدَّ الْخَطْبُ إِيَّي لَشَدِيدُ  
(قطب، ١٩٩٢، ص ٤٢)

كلمة «لشديد» كانت اقتباساً من القرآن الكريم: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ (البروج/١٢)، ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (العاديات/٨).

وَفِي اللَّيْلِ إِذْ يَغْشَىٰ، وَكَانَتْ إِذَا غَفَا      تَيَقَّظَ فِيهَا كُلُّ غَافٍ وَسَادِرٍ  
(قطب، ١٩٩٢، ص ٦٠)

إِذَا اللَّيْلُ جَنَّ تَجِيْشُ الْفِكْرِ      وَيُوْرُقُ جَفْنِي مَرُّ الذِّكْرِ  
(قطب، ١٩٩٢، ص ٧٣)

في هذين البيتين نجد اقتباساً من بعض صفات الليل والتي ذكرها القرآن الكريم:  
﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ (الليل/١)، ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا﴾ (الأنعام/٧٦).

مَاذَا تُخَلِّفُ يَوْمَ تَذْهَبُ يَا غَدِي؟      لَأَشْيَاءَ بَعْدَ الْفَقْدِ لِمَتَّفَقِدِ  
سَتَخَلِّفُ الْأَيَّامَ قَاعاً صَفْصَفاً      تَذُرُّو الرِّيحَ بِهَا غُبَارَ الْفَدْفَدِ  
(قطب، ١٩٩٢، ص ٦٢)

الاقتباس من الآية: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفاً﴾ (طه/١٠٥-١٠٦): ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتَ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾ (الكهف/٤٥).

وَلِيَالِيهِ شَاجِيَاتٌ حَيَارَى      يَتَرَامِينَ حَوْلَهُ مِنْ لُغُوبِ  
(قطب، ١٩٩٢، ص ٩٤)

جملة «من لغوب» كانت مقتبساً من الآية: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ (ق/٢٨).

هَلْ كَانَ إِلَّا فِي الْعِظَائِمِ مَوْتِلًا      فِي يَوْمٍ تَشْخَصُ عِنْدَهُ الْأَبْصَارُ  
(قطب، ١٩٩٢، ص ٢٦٤)

الاقتباس من: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (إبراهيم/٤٢).

فَلْتَعْنَنَّ لِلذِّكْرِ الْجِبَاهُ وَتَنْحَنِ الـ      هَامَاتٌ وَتَتَخَشَّعُ الْأَبْصَارُ  
(قطب، ١٩٩٢، ص ٢٦٥)

الاقتباس من الآية: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذُلَّةٌ﴾ (القلم/٤٣).

#### اللوحات التصويرية في الشعر

يُعدُّ التصوير الأداة البارزة التي اعتمد عليها الشاعر في التعبير عن أبعاد وجوانب تجربته الشعرية، ولذلك قال في المقدمة التي كتبها لديوانه: «يتبين للناقد، أن الشاعر في هذا الديوان؛ يقف موقف المصور في كثير من القصائد؛ حتى لا تكاد تخلو قصيدة من تصوير... فهو متحف صور، قبل أن يكون قصائد شعر» (قطب، ١٩٩٢، ص ٣٤). ذلك أن الشاعر بواسطة الصورة

يشكل أحاسيسه وأفكاره وخواطره في شكل فني محسوس، وبواسطتها يصور رؤيته الخاصة للوجود والعلاقات الخفية بين عناصره.

إن للحركة مكانة متميزة ومرتفعة في الصورة الشعرية عند سيد قطب، حيث يمنح الجمادات شخصية إنسانية. هناك صور مختلفة من التجسيم في شعر سيد قطب يمكن أن نقسمها إلى التجسيم العقلي والذهني. فالتجسيم العقلي هو تجسيم المعاني الذهنية التي تُدرك بالعقل، بحيث تبدو أجساماً تُدرك بالحس؛ فمثلاً يجسم الشاعر الخطيئة والذنب الذي كان أمراً عقلياً، ويجعله ذا حركة وشعور، وهو في قصيدة «الخطيئة»:

مِنْ خَلَالِ الظُّلْمَاءِ فِي بَهْمَةِ اللَّيْلِ	لِ تَمَشَّتْ كَالْحَيَّةِ الرَّقْطَاءِ
تُوقِظُ الجِسْمَ وَالغَرِيْزَةَ بِالْهَمِّ	سِ وَتَطْعَى عَلَى الْحِجَا وَالذُّكَا
وَهِيَ مِنْ حَشِيَّةِ الضَّمِيرِ تَوَارَى	فِي زَوَايَا المِيُولِ وَالْأَهْوَاءِ

(قطب، ١٩٩٢، ص ١٣٤)

لقد منح سيد قطب الخطيئة الشخصية والحياة فإذا بها تنساب انسياب حية رقطاء في أناء الليل وجنح الظلام تجعل الغشاوة على العقول والفتن وتتاجى مع النفوس والغرائز وتوسوس فيها بلا هوادة حتى توقفها من نومها وتدفعها نحو ارتكاب الجرائم والآثام. إن الخطيئة جبانة لا تجرؤ على مقابلة العقل نهائياً فتراها تتغلغل وتتسلل إلى دواخل النفوس وزوايا القلوب خوفاً من سطوة العقل عليها وطردها من مملكته.

قام سيد قطب أحياناً كثيرة بتصوير الحالات النفسية من الحزن واليأس والإحباط تصويراً حسياً موحياً في محاولة شعرية لتقريب هواجسه وأحاسيسه إلى نفس المخاطب؛ فالشاعر في البيتين التاليين مثل نفسه إنساناً ضالاً وتائهاً في مجاهل فلاة موحشة وسط ظلام دامس والوحوش تكتنفه من كل جانب، بينما هو يتخبط في أهواله وأحزانه يلوح في الأفق ضوءاً خافتاً يعيد إلى الشاعر بصيص الأمل:

لَا حَ لِي مِنْ جَانِبِ الأفُقِ شُعَاعٌ	بَيْنَمَا أَخْبِطُ فِي دَاغِي الظُّلَامِ
فِي صَحَارِي اليَاسِ أُسْرِي فِي ارْتِيَاعِ	حَيْثُ تَبْدُو مَوْحِشَاتِ كَالرَّجَامِ

(قطب، ١٩٩٢، ص ١١٣)

تصوير مشاهد الطبيعة كان أفقاً آخر من آفاق التصوير الشعري لدى سيد قطب؛ ومن أمثلته تصوير الدنيا كطفلة هادئة مستغرقة في النوم، والليل يضمها بذراع حانية، كأنه أم حنون؛ هذا التصوير الجميل الذي رسم الشاعر فيه بريشته منظرًا غاية في الجمال والدقة:

كَانَتْ الدُّنْيَا يُغَشِّيهَا السُّكُونُ      وَظَلَامُ اللَّيْلِ وَالنَّوْمُ العمِيقُ  
 طِفْلَةٌ قَدْ ضَمَّهَا اللَّيْلُ الحَنُونُ      ضَمَّةَ الرَّحْمَةِ كَالْأُمِّ الشَّفُوقِ!

(قطب، ١٩٩٢، ص ٢٣٤)

وبينما الدنيا نائمة كطفلة رقيقة، إذا بالصبح يظهر في هيئة جميلة وقورة، فتستيقظ  
 الطفلة التي أنفاسها هي سمات الجو الرقيقة النديّة، فيقول:

وَتَرَأَى الصُّبْحُ فِي سَمْتٍ بَدِيعٍ      فَإِذَا الطُّفْلَةُ تَصْحُو مِنْ سُبَاتٍ  
 تُرْسِلُ الأَنْفَاسَ فِي رِفْقٍ وَدِيعٍ      وَإِذَا الأَنْفَاسُ تَلِكِ النَّسَمَاتِ

(قطب، ١٩٩٢، ص ٢٣٤)

الاهتمام بالقضايا الوطنية والإسلامية والحث على المقاومة

يؤيد سيد قطب الثورة الفلسطينية ويدعو رجالها إلى مواصلة الكفاح وحمل السلاح؛ لأنه  
 هو الطريق الوحيد إلى التحرير والنصر. الانتصار في منظور الشاعر لا يتأتى إلّا عن طريق  
 التضحية وبذل النفس والنفيس. فالدم المراق في سبيل الكفاح والذود عن الذمار من شأنه أن  
 يُعظّم الأمم ويُعلي شأنها. يؤكد سيد قطب على أنّ الاستقلال الحقيقي هو من ثمار الجهاد ولا  
 يجنبها إلّا المجاهدون المستميون الذين لا يهابون الموت ولا الأعداء، فيقول:

عَهْدٌ عَلَى الأَيَّامِ أَلَّا تَهْزَمُوا      فَالنَّصْرُ يَنْبِتُ حَيْثُ يَهْرَاقُ الدَّمُ  
 فِي حَيْثُ تَعْتَبِطُ الدَّمَاءُ فَأَيَّقِنُوا      أَنْ سَوَفَ تَحْيَوُا بِالدَّمَاءِ وَتَعْظُمُوا  
 تَبْعُونَ الأَسْتِقَالَ؟ تَلِكِ طَرِيقُهُ!      وَلَقَدْ أَخَذْتُمْ بِالطَّرِيقِ فَيَمَمُوا  
 وَهُوَ الجِهَادُ حَمِيَّةٌ جَشَامَةٌ      مَا إِنْ تَخَافُ مِنَ الرَّدَى أَوْ تَحْجَمُ

(قطب، ١٩٩٢، ص ٢٧٩)

ثمّ يحثّ الشرق كلّهُ على مناصرة الثورة الفلسطينية، وينوّه بانتفاضته العاتية التي ستقضي  
 على كلّ ألوان الاستعمار فيقول:

وَطَنٌ يُقَسِّمُ لِلدَّخِيلِ هَدِيَّةً      فَعَلَامَ يَحْجَمُ بَعْدَ هَذَا مُحْجَمٌ؟  
 الشَّرْقُ يَا لَشَرْقِ تَلِكِ دِمَاؤُهُ      وَالغَرْبُ يَا لِلغَرْبِ يَضْرِبُهُ الدَّمُ  
 الشَّرْقُ وَيَحِ الشَّرْقُ كَيْفَ تَقَحَّمُوا      حُرْمَاتِهِ الكِبْرَى وَكَيْفَ تَهْجَمُوا  
 سَنَةٌ وَمَرَّتِ والنِّيَامُ تَيَقَّظُوا      فَلْيَعْلَمُوا مَنْ نَحْنُ أَوْ لِمَا يَعْلَمُوا!  
 اليَوْمَ فَلْيَلِغُوا الدَّمَاءَ وَفِي غَدٍ      فَلْيَنْدَمُوا عَنْهَا وَلِلَّاتِ المُنْدَمُ

(قطب، ١٩٩٢، صص ٢٧٩-٢٨٠)

استخدم الشاعر في الأبيات المذكورة أسلوب الاستفهام في البيت الأول ويجعله آية صالحة للتعبير عن سخطه واشمئزازه من الذين فضلوا الإحجام والاستسلام على العز والكرامة. لقد أهوى الشاعر بسياط اللوم والغضب على المحجمين والمساومين الذين قدموا وطنهم للفاسبين تحفةً، ثم يحذر الشرق العربي بصرخاته النارية من الويلات والمصائب التي أهدقت به من كل حذب وصبوب، ويتوعددهم بالمستقبل العاجل الذي يستيقظ فيه الشباب فسرعان ما يحاسبون الخونة والمتهاونين الذين باعوا الوطن وضيعوا دماء المجاهدين حساباً شديداً، وفي ذلك اليوم يعض الظالمون أيديهم ولكن لات ساعة مندم!

يرثي سيد قطب «العبيد» في قصيدة «البطل»، وهو شاب سوداني اشترك في تأليف جمعية اللواء الأبيض<sup>١</sup> في السودان، وقام يناضل في بطولة ورجولة فذة الاستعمار البريطاني، إلى أن أودعه المستعمرون السجن وراحوا يعذبونه في وحشية قاسية حتى مات وهو في سجنه. في هذه القصيدة ينوّه الشاعر بشجاعة العبيد في مواجهة الموت ويشير إلى بعض ألوان التعذيب الذي ذاقها هذا الشاب السوداني، ثم يدعو شباب الشرق إلى الاتحاد والقوة، وإلى أن يضحو بأنفسهم فداءً لوطنهم، وختاماً يلوم شباب وطنه مصر لانغماسهم في روتينيات الحياة وتلهيهم عن رسالتهم الجهادية، ناصحاً إياهم بمواكبة الأبطال وأباة الضيم الذين يرفضون حياة الذل والخذلان:

يَا شَبَابَ النَّيْلِ مَاذَا؟ وَيَحْكَمْ!	أَفَأَنْتُمْ حَيْثُ يُحْيِيكُمْ دُعَاءٌ؟
يَا شَبَاباً نَكَبَ النَّيْلُ بِهِ	فِي الْأَمَانِي وَالتَّعَلُّاتِ الْوَضَاءُ
يَا شَبَابَ النَّيْلِ هَلْ أَبْصَرْتُمُو	فِي فَتَى السُّودَانِ كَيْفَ الشُّهَدَاءُ؟
يَا شَبَابَ النَّيْلِ هَذَا مَثَلٌ	لِجَلَالِ الْمَوْتِ فِي ظِلِّ الْإِبَاءِ

(قطب، ١٩٩٢، صص ٢٦٢-٢٦٣)

يكرر سيد قطب لفظة «النيل» أربع مرّات في هذه الأبيات، لأنّ النيل عنده يخرج من دائرة الحس والمادة إلى دائرة المعنى، فهو رمز لقوة الإرادة ومجد الوطن وكان باعثاً لمعاني العزة والكرامة والحرية والعظمة، ورفض الخضوع على مرّ العصور. وفي عزو الشباب إلى النيل محاولة ذكية لإنهاض الروح الجهادية لدى الشباب وإثارة الغيرة والحمية فيهم أخذاً بنظر

١. جمعية وطنية ألقها الشباب الوطني السوداني عام ١٩٢٤ على إثر فصل السودان عن مصر، غايتها مقاومة الاستعمار البريطاني والانضمام إلى مصر في الحركة الوطنية وتحقيق الجلاء عن وادي النيل (راجع: الرفاعي، ١٩٤٧، ج ١، صص ١٧١-١٧٢).

الاعتبار أن لفضة النيل تبعت في نفسية الشباب معاني سامية كالوطن والجهاد والرفض والإباء والكرامة، زد على ذلك أن لأسلوب التكرار الذي وظّفه في شعره أثراً بيّناً لتعزيز مكانة النيل الرمزية في أذهان شباب الوطن.

وقعت حادثة مأساوية في مركز «البداري» في مصر، والتي يقول عنها سيد قطب: «ليس في مصر من لا يذكر هذه المأساة الوحشية التي مثلها مأمور البداري المقتول مع أهالي البداري عامة؛ وسجين البداري خاصة...» (قطب، ١٩٩٢، ص ٢٨١). يتذكر سيد قطب في إحدى قصائده الوطنية هذه الواقعة فيندد بالظلم والقمع الذي يمارس بحق الأبرياء في ظلّ الدفاع عن حقوق البشر. خاطب الشاعر الأشخاص والمؤسسات التي تدافع عن حقوق الحيوانات بلهجة لا تخلو من الغرابة والدهشة، فيقول: ما بالكم تتحمسون على حقوق القطط والكلاب، ولا تكثرثون بالأناس الذين يتألمون ويرزحون تحت سياط القسوة والتعذيب؟! ثمّ يُضيف قائلاً: ما بال مصر أن كلابها تعيش بأمانٍ ورفاهية بينما شعبها يقتل ويضطهد؟! لماذا في مصر يكافأ المجرم بدل أن يُحاسب ويُعاقب على جريمته؟! ماذا جرى على مصر حيث حلتّ المساويء والفحشاء محلّ القيم والأخلاق؟! وماذا خطب مصر أن الرذائل التي ملأت أرجاءها تقضي على الكرامة وتسفك دماء الكرماء والصالحين؟! ولا يخفى أن تكرار لفظه «مصر» في هذه الأبيات يحدث في أذن السامع إيقاعاً يشبه عويل الثكلى التي ترثي ولدها المفجوع، فيقول الشاعر:

يَا أَيُّهَا الرُّفُقَاءُ بِالْحَيَوَانَ لَنَا	تَنَسَّوْا أَنَا سَيِّئاً تَبِينُ وَتَوَالِمُ
فِي مِصْرَ قَدْ تَلَقَى الْكَلَابُ رِعَايَةً	بَيْنَا يُحَقِّرُ شَعْبَهَا وَيُحَطِّمُ!
فِي مِصْرَ لَنَا يَلْقَى الْمُسِيءُ جَزَاءَهُ	لَا بَلَّ يُكَافَأُ دُونَهُ وَيُكْرَمُ
فِي مِصْرَ مَا لَنَا يَحْفَظُ التَّارِيخُ مِنْ	فُحْشٍ يَعِجُّ بِهَا وَفُحْشٍ يُكْتَمُ
فِي مِصْرَ! لَوْ فِي مِصْرَ بَعْضُ كِرَامَةٍ	غَضِبَتْ وَقَارَ عَلَى جَوَانِبِهَا الدَّمُ!

(قطب، ١٩٩٢، ص ٢٨٢)

في قصيدة «صوت الوطنية»، يحثّ الشاعر مصر على الثورة والانتفاض، لأنّها ما كانت يوماً ذليلة مهينة، ولأنّه لم يعد هناك وقتٌ للكسل أو البكاء، فالدنيا كلّها تتحرّك وتثور، والنيل صار ماؤه نقماً ساخطاً ينتظر من يقذف فيه من الأعداء؛ فيقول بأسلوب قويٍّ ومؤثّر نسمع فيه جلجلة الرعود القاصفة وولولة الرياح الهوج وزمجرة العواصف السود؛ يتوجّه الشاعر إلى مصر (وهو يقصد أبنائها) سائلاً إياها: ألم يأن لها أن تفور بعد كل هذه المصائب والصروف التي مرّت بها؛ حيث



انقلبت الأمور واضطربت الأحوال وسودت الأهوال آفاق البلاد كلها، فالنيل الأزرق غضب وملّ هذا الصمت الجنائزي، لكن مصر ظلّت غارقة في لهوها ومرحها وعندما صاحت واستيقظت من نومها أخذت تبكي وتُعوّل على حالها المأساوي، ويتمنى الشاعر لو تُترجم مصر هذا البكاء والعويل إلى إقدام وشجاعة وانتفاضة؛ لأنّ البكاء والعويل لا يجديان ولا طائل تحتهما، فهي إما أن تتور وتُحطّم القيود ويفوز بالحرية والكرامة العيش وإما أن تظلّ مقيّدة بالقيود مسلوّبة الإرادة صاغرة:

ضَجَّتْ الدُّنْيَا فَمَآذَا تَرْتَقِبْ	مِصْرُ مَنْ أَهْوَالِهَا حَتَّى تَتِيبْ؟
ضَجَّتْ الدُّنْيَا مِنَ الْهَوْلِ الَّذِي	تَرَكَ الدُّنْيَا جَمِيعاً تَضْطَرِبْ
فَارَ مَاءُ النَّيْلِ أَوْ صَارَ إِلَى	حُمَمٍ أَوْ نَقْمَةٍ مِنْهُ تُصَبْ
وَأَرَى مِصْرَ تُعَانِي سَكْرَةَ	وَإِذَا تَصْحَوُ تَوَلَّيْتُ تَتَّحِبْ؟
مِصْرِيَا مِصْرُ وَمَا يُجْدِي الْبِكَاءُ	غَضَبَةً يَا مِصْرُ كَاللَّيْلِ وَثَبْ
غَضَبَةً يَا مِصْرُ أَوْ لِمَا فَادْرُجِي	فِي قَيْودِ الذَّلِّ وَأَرْضِي بِالْحَرْبِ <sup>١</sup>

(قطب، ١٩٩٢، ص ٢٨٣)

#### سيطرة الحبّ العرفاني في شعره

تحدّث سيد قطب عن المرأة في الإطار العام الذي تحرّكت فيه فلسفة الشاعر في الحياة، فاعتبر المرأة السرّ الذي فتح بينه وبين الحياة، والحبّ الذي تحدّث عنه هو الحبّ الطاهر العفيف، الخالد الذي يرتفع بالإنسان عن خطل الجسم إلى عالم النور والضياء. يلاحظ في شعر سيد قطب الغزلي بأنّ الحبّ عنده كان رمزاً موحياً دالاً على المحبوب الحقيقي، وهو الله سبحانه وتعالى. إذ أنّ الشاعر يعتبر الحبّ جوهرًا مكنوناً وقدسياً في هذا الكون، كان مأواه الحقيقي في السماء وفوق العرش، والمؤشّر الصادق الذي يدلّ على أنّ محبوب الشاعر هو الله سبحانه دون سواه أنّه أذاب وأفنى كلّ مكوّناته الإنسانيّة ومقوّماته البشريّة من الروح والنفس والفكر والجسد والخيال في الحبيب، فلا يتناسب هذا التعبير مع ما يوجد في منظومته الفكرية إلّا إذا اعتبرنا الحبيب معبوداً أسلم له من في السموات ومن في الأرض، فيقول عن ذلك:

وَحَبِيبٌ قَدْ سَمَتَ رُوحِي إِلَيْهِ	وَعَبَدْتُ الطُّهْرَ فِيهِ وَالْجَمَالَ
وَوَقَفْتُ النُّفْسَ وَالْفِكْرَ عَلَيْهِ	وَالْأَمَانِيَّ وَأَطْيَافَ الْخَيْالِ

(قطب، ١٩٩٢، ص ٣٩)

وهذه النظرة إلى الحبّ تختلف عمّا يعنيه الآخرون من دُعاة الحبّ الإباحي، حيث إنّهم

١. الحَرَب: سلب الأموال وكلّ ما يملك.

يستغرقون في العشق الشهواني ولوازمه؛ بينما يرفض سيد قطب أن يكون حبه الهوى والهوس الذي يراود الشعراء والتي تتعلّق غالباً ما بالعشيقَات البشرية والحبّ الجسدي الماجن، فالعرائس التي يميل إليهنّ الشعراء الماجنون يتصرّفن في أغلب الأحوال تصرف البغايا والمومسات، ولكن سيد قطب يتحدث في أشعاره عن الحبّ الإلهي الذي يترفع عن الدنيا والشهوات المخزية:

إِنْ ذَكَرْتُ الْحُبَّ قُدْسِيًّا نَقِيًّا      حَسَبُوهُ مِنْ خِيَالِ الشُّعْرَاءِ  
إِنِّي أُدْرِكُهُ رُوحًا خَفِيًّا      يَهْبِطُ الْأَرْضَ وَمَأْوَاهُ السَّمَاءُ  
وَهُمْ يَبْعُونَهُ إِثْمًا فَرِيًّا      يُرْتَدِي فِي أَثْوَابِ الْبِغَاءِ!

(قطب، ١٩٩٢، ص ٤٣)

فهو ظلّ وقيّاً لهذا الحبّ السماوي إلى أن مات دونه شهيداً:

سَأَصُونُ عَهْدَ الْحُبِّ عَفَا طَاهِرًا      حَتَّى أَمُوتَ بِهِ شَهِيدًا مُغْرَمًا

(قطب، ١٩٩٢، ص ٤٥)

والمعشوقة التي يتودّد إليها سيد قطب خارجة من نطاق الأرض أو عالم الناسوت الذي يشاب فيه الحبّ بالشوائب الجسدية بل معشوقة الشاعر يسمو شأنها وتعلو مكانتها وتفوق الأرض والسماء ومنّ فيهما، وهي التي سماها سيد قطب رسولاً من رسل الحياة التي تمثّل معجزة نبوية:

وَمَا أَنْتِ إِلَّا رَسُولُ الْحَيَاةِ      وَحُبُّكَ مُعْجِزَةٌ مِنْ نَبِيِّ

(قطب، ١٩٩٢، ص ١٧٤)

التأثر بنغمات الحافظ الشيرازي الغزلية

إقبال الأدباء والنقاد المصريين لاسيّما سيد قطب على ديوان حافظ وغزلياته<sup>١</sup> ينطلق من شوق دفين لديهم إلى تراث الشرق لخصلتهم الشرقية العميقة، ولسامهم من كثرة ما طالعوه من ترجمات الأدب الأوربي التي لا تسجم في كثير من نفعاتها مع روح الشرقيين. إن فكرة حافظ الشيرازي ورؤيته العرفانية تتفق والنظرة الروحية لدى سيد قطب<sup>٢</sup>؛ إذ يصرّح بأنّ عنايته بدراسة أشعار الشرقيين، إنّما باعثها هو أن يروي نفسه من مناهل هي أقرب إلى الروح (نقلاً عن الندوي،

١. ترجم هذا الديوان في مصر على عنوان «أغاني شيراز» لإبراهيم أمين الشواربي وهو يضم منظومة ومنتورة لأشعار حافظ الشيرازي.

٢. وهذا التطلّع الروحي كان نقطة اختلاف سيد قطب مع أستاذه العقّاد؛ إذ يقول سيد قطب بأنّ العقّاد كان رجلاً فكرياً محضاً لا ينظر إلى مسألة ولا يبحث فيها إلا عن طريق الفكر والعقل (نقلاً عن الندوي، ٢٠٠١، ص ١٠٩).

٢٠٠١، ص ١٠٩). يقول سيد قطب متحدّثاً عن حافظ وغزله: «لقد أخذتُ - مع حافظ - إلى الغناء العذب بروح صادقة، لا تكدرها شوائب الحياة، ولا هموم العيش، ولا أحقاد الناس، ولا تفسدها كذلك غواشي القلق، ولا هموم الفكر، ولا الجدل الذهني العقيم» (قطب، ١٩٨٣، ص ٦٨).

يرى سيد قطب أنّ أشعار حافظ ستعمل على تغذية الشعر العربي بالروح الفنائية بعدما غرق الشعر العربي الحديث في موجة فكرية ويعتقد أنّ سبب طغيان هذه الموجة يعود إلى اهتمام الشعراء المعاصرين بمواكبة موجة الأسلوب اللفظي أو الإيقاعي التي اهتمت بالمحسنات البديعية الجوفاء والإيقاع الموسيقي الذي لا يتسم بالحياة ولا بالجديّة (قطب، ١٩٩٢، ص ٧٠). يشير سيد قطب إلى خصائص أشعار حافظ الشيرازي البارعة وميزاتها وما فيها من عطاء للعالم العربي، ويركز على النقاط التالية (انظر، قطب، ١٩٩٢، ص ٧١ وبعدها):

- زيادة ثروة الأدب العربي، وإثارة ألوان جديدة من التفكير وفنون من الشعور الخصب.

- زيادة رصيد الغناء في الشعر العربي.

- استرواح عطر الشرق البعيد وبساطته ومرحه، وغبيّته وتصوّفه.

هذا الاهتمام لشعر حافظ وغزله انعكس بوضوح في غزليات سيد قطب، نذكر نماذج منها في شعر سيد مع الإشارة بما شابهها في غزل حافظ الشيرازي في الهوامش:

- إنَّ الحُبَّ سببُ الغنى<sup>١</sup>:

وَأَشْعَرْتِنِي مَعْنَى الطَّلَاقَةِ وَالرُّضَا      وَمَعْنَى الغِنَى عَن كُلِّ آتٍ وَعَايِرٍ  
(قطب، ١٩٩٢، ص ٩٢)

- الاستشهاد في سبيل الحُبِّ<sup>٢</sup>:

سَأَصُونُ عَهْدَ الحُبِّ عَفْأً طَاهِرًا      حَتَّى أَمُوتَ بِهِ شَهِيدًا مُغْرَمًا  
(قطب، ١٩٩٢، ص ٤٥)

- الحيرة من المعشوق<sup>٣</sup>:

مَنْ أَنْتِ؟ مَا أَنْتِ؟ إِنْني حَائِرٌ قَلْبِي      أَنْتِ اسْطُورَةٌ فِي سِفْرِ أَفْأَكِ؟  
(قطب، ١٩٩٢، ص ٢١٧)

- |                 |                                    |                                    |
|-----------------|------------------------------------|------------------------------------|
| ١. في غزل حافظ: | چو ذره گرچه فقیرم ببین به دولت عشق | گوشه تاج سلطنت می شکند گدای تو     |
| ٢. في غزل حافظ: | قتیل عشق تو شد حافظ غریب ولی       | به خاک ما گذری کن که خون ماست حلال |
| ٢. في غزل حافظ: | عشق تو نهال حیرت آمد               | وصل تو کمال حیرت آمد               |
|                 | بس غرقه حال وصل کآخر               | هم بر سر حال حیرت آمد              |

- وجود المعشوق؛ سبب الخلق والحياة<sup>١</sup> :

هِيَ أَنْتِ الَّتِي خُلِقْتَ لِحَيَاةٍ      فِي ظِلَالٍ مِّنَ الْوَفَاءِ الرَّشِيدِ؟  
(قطب، ١٩٩٢، ص ١٦٠)

وردت بعض الاصطلاحات العرفانية في غزل سيد قطب والتي نراها في غزل حافظ الشيرازي بعينها؛ نذكر نماذج منها على سبيل المثال لا الحصر:

- لفظة «حجاب»<sup>٢</sup> :

فَبِأَيِّ مُعْجِزَةٍ كَشَفْتَ ضَمَائِرِي      وَجَلَّوْتَ كُلَّ مُحَجَّبٍ مَسْتُورٍ؟  
(قطب، ١٩٩٢، ص ٩٣)

- اصطلاح «وجود، وعدم»<sup>٣</sup> :

أَلَسْتَ الَّتِي نَبَضْتَ "بِالْوُجُودِ"      فَشَقَّ قُوَى "الْعَدَمِ" السَّاخِرَهُ  
(قطب، ١٩٩٢، ص ١٧٥)

- اصطلاح «جمع، وتفرقة»<sup>٤</sup> :

هَكَذَا الدُّنْيَا اجْتَمَاعٌ وَافْتِرَاقٌ      وَهِيَ أَهَاتٌ وَذِكْرَى وَشَقَاءٌ!  
(قطب، ١٩٩٢، ص ١٥٤)

التأثر بمدرسة العقاد الشعرية

يعدُّ العقاد أستاذ جيل، ورأس مدرسة، تأثر به كثير من الشعراء الذين عاصروه والذين جاءوا من بعده، ولكن نستطيع أن نقول بأن سيد قطب «هو أشبه تلاميذ العقاد به» (عبدالسلام، ١٤١٦، ص ١١٩)، وأكبر المعجبين به (الجبوسي، ٢٠٠٧، ص ٥٦٠). أعجب سيد بداية مسيرته الأدبية بمدرسة «العقاد»، ويصف العقاد بأنه أفضل شاعر وأقوى أديب في مصر (البدوي، ١٩٩٢، ص ٥٢). على هذا الأساس، نرى بوضوح تأثير العقاد على سيد قطب في شعره وأدبه. التشابه بين عناوين قصائد الشعارين في أكثر من عشرين موضعاً (راجع: البدوي، ١٩٩٢، صص ١٢٥-١٢٩) والكثير من موضوعات شعرهما ومعانيه، يدلُّ على هذا التأثير والتأثر بين

- |                 |                                  |   |
|-----------------|----------------------------------|---|
| ١. في غزل حافظ: | سايه قد تو بر قالبم ای عیسی دم   | عكس روى است كه بر عظم رميم افتادست      |
| ٢. في غزل حافظ: | حجاب راه توئی حافظ از میان برخیز | خوشا کسی كه در این راه بی حجاب رود      |
| ٣. في غزل حافظ: | ره رو منزل عشقیم وز سر حد "عدم"  | تا به اقلیم "وجود" این همه راه آمده ایم |
| ٤. في غزل حافظ: | ز فکر تفرقه باز آی تا شوی مجموع  | به حکم آنکه چو شد اهرمن سرش آمد         |

العقّاد وسيد قطب. فمثلاً رثاء الحيوان الذي كان أحد المضامين الشعرية لدى العقّاد، انعكس في شعر سيد قطب؛ إذ يرثي العقّاد كلبه «بيجو» متضمناً عاطفة حارة تفيض بالحزن والأسى على الكلب الفقيد، وتدلل على المنزلة التي كان يتبوّؤها عند صاحبه، كما تدل على عظم مصابه عنده (راجع: العقّاد، ١٩٤٢، ص ١٧٥). يرثي أيضاً سيد قطب في قصيدة «موت سوسو» هرّه الذي انطفأت فيه شعلة الحياة ويقول:

لَقَدْ هَمَدَتْ فِي الضُّلُوعِ الْحَيَاةُ	فَمَا يَرَجُفُ الْقَلْبُ أَوْ يَخْفُقُ
وَقَدْ غَابَ لِلْأَوْهَامَا فِي الْعَيُونِ	فَمَا تَرْمُقُ الْكَوْنُ أَوْ تَبْرُقُ
وَقَدْ سَكَنَتْ نَامَةً فِي حَشَاهُ	فَمَا عَادَ يَقْفِزُ أَوْ يَمْرُقُ

(قطب، ١٩٩٢، ص ٢٦٨)

هذه المرثية كانت أقرب إلى التأمل في حقائق الموت والحياة منها إلى الرثاء، إذ لا تظهر فيها عاطفة الشاعر نحو هذا الحيوان، ولا تحدثنا عن شيء من صفاته وأحواله.

#### توظيف الشعر القصصي

الشعر القصصي هو الذي يعتمد في مادته على ذكر وقائع وتصوير حوادث في ثوب قصة تساق مقدماتها، وتحكى مناظرها وينطق أشخاصها. فالشاعر القصصي قد يطوف بحياته حادث من الحوادث تنفعل به نفسه وتتجاوب له مشاعره ويهتز إحساسه، فيعمد إلى تصوير هذا الحادث كما تمثّل لديه في قصة ينسج خيوطها ويرسم ألوانها ويطرز حواشيها (الخفاجي، ١٩٩٢، ص ٩٠). فالقصيدة القصصية صارت نوعاً أدبياً متميزاً، تحكي بأجمعها قصة خيالية أكثر منها واقعية؛ إذ من الطبيعي أن يعتمد الشاعر على عنصر الخيال وقد يبني من تجربة خيالية عملاً فنياً كاملاً.

نرد في ديوان سيد قطب القصائد التي يحكي خلالها الشاعر قصة خيالية، يُبدي خلالها أفكاره وآراءه تجاه الحياة والكون. فالقصيدة «السرّ أو الشاعر في وادي الموتى» كانت من أهم هذا النوع من الشعر. في البداية يقدم سيد قطب على هذه القصيدة فيقول: «اعتاد الشاعر أن يتردد كثيراً على وادي الموتى في أوقات مختلفة، أكثر ما تكون عند مغرب شمس، وقبل طلوعها» (قطب، ١٩٩٢، ص ١٢٤). ثم يذكر بأنّه منذ ستّة أعوام وفي جنح الليل ذهب إلى حِمى الموتى ولكنّه أحسّ بالرهبة وساوره الوجل، وشعر كأنّ أصواتاً من وراء الحفائر تتناجى، ثمّ توجه إليه الخطاب. عاد الشاعر صامتاً واجماً من وادي الموتى ولكن لم يستطع أن يفسّر

ويصوّر ما حدث، حتى استطاع أن يترجم هذا الشعور شعراً، بعد أن زال الكثير من روعته، ووصل إلى الدرجة التي يستطيع بها التعبير؛ يقول الشاعر في مقدمة القصيدة:

مَنْ الطَّارِقُ السَّارِي خِلَالَ المَقَابِرِ      كخَفَقَةِ رُوحٍ فِي الدُّجَنَاتِ عَابِرٍ؟  
مَنْ الوَجِلُ المَدْعُورُ فِي وَحْشَةِ الدُّجَى      تُقَلِّبُهُ الأَوْهَامُ فِي كُلِّ خَاطِرٍ؟  
يُنْقَلُ فِي تِلْكَ الدِّيَا جِيرَ خَطْوُهُ      وَيَخْطُرُ فِي هَمْسٍ كَهَمْسِ المِحَاذِرِ؟

(قطب، ١٩٩٢، ص ١٢٥)

أشار الشاعر في هذه المقدمة للقصيدة مُستخدماً أسلوب الاستفهام الذي يعبر به عن استغرابه؛ إذ أنه ارتاد المقابر وسط الظلام الحالك، وكأنه روح متمردة أو شبح من الأشباح، ثم يتحدث وهو مازال يستخدم صيغة الاستفهام ويشير إلى خوفه ورعبه في تلك الليلة القاتمة حيث انتابته الأوهام وأخذت به كل مأخذ. يخطو الشاعر أثناء تلك الأحوال خطوات قصيرة مضطربة ويتمشى مشياً وادعاً وكأنه بقرة وحش مذعورة تمشي بهدوء وتتفّس أنفاساً متقطعة تتخللها همسة.

كثرة ظاهرة «التكرار» في شعره

انتشرت ظاهرة التكرار في الشعر الحديث كثيراً واتخذت موقفاً بارزاً في بناء النص والتعبير عن ضمير الشاعر؛ فإنه يمثل عنصراً جوهرياً حاسماً في الصياغة الشعرية (فضل، ١٩٨٧، ص ٢٦١). كما «يعدّ وسيلة بلاغية ذات قيم أسلوبية مختلفة» (العبد، ٢٠٠٧، ص ١٢٨)، تُبرز الجوانب التي يريدها الشاعر وتكون أقدر على حمل مراده. فالتكرار «أحد الأضواء اللاشعورية التي يسلطها الشعر على أعماق الشاعر فيضيئها» (نازك الملائكة، ١٩٨٣، ص ٤٢). وفي شعر سيد قطب، يكون لأسلوب التكرار حضوره المكثف، الأمر الذي دعانا إلى رصد هذه الظاهرة عنده وعده من ميزات شعره الخاصة. نضرب بعض الأمثلة من وجود التكرار في شعر سيد قطب:

فمثلاً في تكرار الجملة يعمد الشاعر إلى عبارة معينة يكررها في أثناء النص وبشكل يهيئ لها فرصة ليعبّر عن حالة يريد هو بثها. وقد استثمر سيد قطب هذا النمط ليتغنّى بمشاعره وعواطفه، ففي قصيدة (زفراء جامحة مكبوحه)، يكرّر الشاعر جملتين (إذهب وخلفني) مرتين، تعبيراً منه عن قشعريرة اغترابه المرير:

اذْهَبْ وَخَلَّفْنِي هُنَا مُتَأَلِّمًا      لَأَتَلَقَّنِي سَمَحًا وَلَا مُتَجَهِّمًا!  
اذْهَبْ وَخَلَّفْنِي تَذُوبٌ حُشَّاشَتِي      وَيَبُضُّ قَلْبِي مِنْ قَرَارَتِهِ دَمًا

(قطب، ١٩٩٢، ص ٤٤)

كما يبدو في هذين البيتين كرّر الشاعر تعبير « اذهب وخذني » لكي يعبر عن ألمه ومرارته من سوء معاملة المحبوب إزاءه، فحينما يئس الشاعر من ملاطفة المحبوب وعطفه عليه يطرده من نفسه طالباً منه بإصرار أن يتركه وشأنه حتى يقضي ما تبقى له من سويغات حياته الأليمة ويلفظ أنفاسه الأخيرة.

رمى سيد قطب الموهوب برهافة الحس ودقة الشعور إلى السماء فاستلهم منها معانٍ سامية تشكل مادة دسمة لتجربة شعرية موحية، كما صرح سيد في قصيدته « في السماء »، أن السماء أثارت في نفسه أحاسيسه الدفينة وأنهضت خبايا روحه المستورة ثم أراد الشاعر نقل هذه التجربة الفردية إلى المخاطب بأسلوب مُقنع ناجح فيلجأ إلى تقنية التكرار اللفظي ويكرّر ألفاظ ( فإذا أنا ) خمس مرات يزيح الستار في كل مرة عن تجربة شعورية كامنة في نفسه قائلاً:

فَإِذَا أَنَا الرُّوحُ الَّتِي تَسْمُو بِهَا	دُنْيَا الْحَيَاةِ لِأَوْجِهََا الْمَنْظُورِ
فَإِذَا أَنَا النُّورُ الَّذِي تَجْلُو بِهِ	تِلْكَ الْحَيَاةُ غَيَاهِبَ الدِّيَجُورِ
فَإِذَا أَنَا الشُّوقُ الَّذِي يَحْدُو بِهَا	فَتَغْدُ بَيْنَ مَسَالِكِ وَصُخُورِ
فَإِذَا أَنَا الشُّعْرُ الَّذِي تَشْدُو بِهِ	فِي نَشْوَةٍ وَتَجِيْشٍ بِالتَّعْبِيرِ
فَإِذَا أَنَا الْخَيْرُ الْمَحْضُ وَالْهُدَى	وَالْحُبُّ وَالنَّجْوَى خِلَالَ ضَمِيرِ

(قطب، ١٩٩٢، ص ٩٣)

ففي هذه الأبيات يسمي الشاعر نفسه الروح التي بها يخلق من دنياه السفلي إلى حياة علوية، ويشبه نفسه بالنور الذي تنقشع به ظلمات الحياة الحالكة ومن ثم يعبر عن نفسه بالشوق الذي يدفع الشاعر إلى اجتياز طرق حياته الشائكة والوعرة، كما إن الشاعر عبر عن نفسه بالأنشودة التي يتغنّى بها في حالة مرحة وثلمة، وأخيراً جعل نفسه رمزاً للخير والهدى والحب ونجوى الضمير ولا يخفى الأثر الذي تتركه على السامع أسلوبية التكرار اللفظي التي وظّفها سيد قطب لينقل بها تجربته الشعرية إلى سامعيه في صدق ووفاء.

سيطرة الحزن على شعره

أفضى سيد قطب بوصفه شاعراً رومانطيقياً على أشعاره طابع الحزن والاغتراب إلا أن هذا الحزن ليس عادياً نراه عادة لدى الرومانسيين بل إن حزنه حزن فلسفي ينبع عن رؤيته الخاصة تجاه الكون والوجود؛ فهو يعبر في الأبيات التالية عن مشاعر الحزن والأسى عندما

يرى الحياة الدنيا لعبة كلعبة الأطفال. يعتبر سيد قطب الحياة صدىً قوياً وصارخاً للأصوات لو بحثت عن مصدرها لن تجني سوى الخيبة والتعب ثم تمضي أيام الدهر في نظر الشاعر في رتابة وتكرار، بحيث كل يوم يكرر نفسه فلم يعد يشعر أنه حي يرزق، ذلك لأنه لم يجد فيها ما يبعث الأمل والرجاء؛ فالشعور الذي يتملك الشاعر في أغلب الأحيان هو أنه كائن يضرب في فلاة موحشة هائماً على وجهه، ولكنه مهما صار في هذا الميزان يزداد إلماً تيهياً وحيرة، فيقول:

إِيهَ يَا دُنْيَا وَمَا أَنْتِ سِوَى	عَبَثِ الْأَطْفَالِ فِيْمَا يَلْعَبُونَ
ضَجَّةً صَاخِبَةً لَنَا تَحْتَوِي	غَيْرَ أَصْدَاءٍ قَوِيَّاتِ الرَّبِّينِ
فَلِإِذَا فَتَشَّتْ عَنْ مَبْعَثِهَا	لَمْ تَجِدْ شَيْئاً تُخَيِّبُهُ الْوُكُونَ!

(قطب، ١٩٩٢، ص ١٠٨)

يذكر أن الحياة التي تحدث عنها الشاعر هو حياة السواد من الناس الذين لا يرون منها إلماً شكلها وصورتها من دون أن يتوغلوا في بواطن الحياة وأغوارها، فتكون حياة هؤلاء القوم رتيبة متعبة جداً فكانت نيام كل ما يروونه حلم من الأحلام، ولذلك أراد سيد قطب في أشعاره هذه أن يوقظ الناس من سباتهم وغفوتهم المستديمة، ويفتح عيونهم أمام آفاق جديدة من الحياة لم يكونوا قادرين على رؤيتها بأفكارهم القصيرة وعقولهم الضيقة. من الجدير بالذكر أن العبث الذي تحدث عنه الشاعر ليس عبثاً حقيقياً لأنه أنسان متدين يؤمن بمبادئ دينه الذي يؤكد أن العالم صنع الله الذي خلقه بحكمته وقدرته ورسم له غاية حكيمة، فما أبعد العبث عن هذا الوجود الذي هو آية باهرة من خالق حكيم مدبر خلق كل شيء وأحسن خلقه! فيقول سيد قطب:

قَدْ بَعِثْتُ الْيَوْمَ أَحْيَا مِنْ جَدِيدٍ / فَهُوَ بَعَثَ مِنْ حَيَاةٍ خَامِدَةٍ  
 مَرَّ نِصْفِ الْعُمُرِ أَوْ كَادَ يَزِيدُ / لَهْفَ نَفْسِي - فِي حَيَاةٍ رَاكِدَةٍ  
 فِي حَيَاةٍ لَمْ أَجِدْ فِيهَا حَيَاةً!  
 بَلَغَ الْعُقْمُ بِهَا أَقْصَى مَدَاهِ  
 وَتَبَدَّتْ بَلَقَعاً مِثْلَ الْفَلَاهِ

(قطب، ١٩٩٢، ص ١١١)



## النتيجة

النتائج التي تمّ التوصل إليها عبر هذا المقال:

شعر سيد قطب يحمل بصمات رومانسية تميل إلى الأدب الشرقي العرفاني متأثراً بالأدب العقّاد والحافظ الشيرازي إلا أنّ النزعة الرومانسية عند سيد قطب تمتاز بالترابط الموضوعي والوحدة العضوية بين أجزاء قصيدته واعتماده في بناء القصيدة على الخيال المجنّح ممّا جعل شعره لوحات تصويرية فنية. يعدّ التناص القرآني من أبرز التقنيات الفنية التي عني بها سيد قطب في شعره والسبب في ذلك ربّما يكون تأثره الشديد بالتعاليم الإسلامية والقرآنية التي برز وبشكل أوضح في تفسيره المسمّى بـ«في ظلال القرآن». للتشخيص دورٌ بارز في شعره حيث إنّه أضفى على قصائده روح الحياة والحركة حتّى تحوّلت عناصر قصائده الفارقة للحياة إلى عناصر حيّة ترتبط ارتباطاً ديناميكياً فيما بينها؛ فشعر سيد قطب أشبه ما يكون بالمعرض الذي تُعرض فيه لوحات تصويرية حيّة انتزعها الشاعر من مظاهر بيئته التي عاشها منذ طفولته وحتّى بلغ أشده.

سيطر على شعر سيد قطب الحبّ العرفاني بكلّ رموزه ودقائقه؛ فالحبّ الذي يتحدث به الشاعر في غزله ليس على غرار الحبّ الإباحي الذي يتغنّى به شعراء الفسق والمجون بل إنّه الحبّ الذي يقدمه إلى المحبوب السماوي وهو بعيد كلّ البعد عن العشق الشهواني الذي يكثر عند أصحاب الغزل الجسدي. يهتمّ سيد قطب بشعر حافظ الشيرازي اهتماماً بالغاً فاستقى من مناهله العذب حتّى الارتواء. يعتبر «سيد» شعر حافظ وجبة شهية يتغذّى بها الشعر العربي وإنّه مصدر إحياء استوحى منه الشاعر العربي المزيد من مفرداته ومضامينه العرفانية.

وردت في ديوان سيد قطب قصائد يحكي خلالها قصة خيالية بيدي عبرها أفكاره وآراءه تجاه الكون والحياة. ظاهرة التكرار تمثّل عنصراً جوهرياً حاسماً في ديوان الشاعر، فيكون لأسلوب التكرار حضور المكثّف في نسيجه الشعري واستخدم الشاعر هذه الآلية الفنية في عملية نقل تجاربه الشعورية؛ إذ لها مفعولها الكبير في إقناع المخاطبين دون أن يشعروا بالمل والضعف.

## المصادر والمراجع

١. الأصغر، عبدالرزاق (١٩٩٩م). *المذاهب الأدبية لدى العرب*. بيروت: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
٢. أميري، جهانغير؛ نعمتي، فاروق (٢٠١٢م). «أسلوبية التكرار في التعبير عن شعور الاغتراب (شعر سيد قطب نموذجاً)». مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات (علمية- محكمة)، العدد السابع والعشرون (١)، صص ١١٧-١٣٦.
٣. الأيوبي، ياسين (١٩٨٠م). *مذاهب الأدب؛ معالم وانعكاسات*. طرابلس: دار العلم للملايين.
٤. البدوي، أحمد محمد (١٤٠٦هـ). *قضية الأدب الإسلامي عند سيد قطب*. التوحيد، العدد ١٩، صص ٩٦-١٠٣.
٥. \_\_\_\_\_ (١٩٩٢م). *سيد قطب نقاد الأدب (١٠)*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٦. \_\_\_\_\_ (٢٠٠٢م). *سيد قطب ناقدًا*. القاهرة: الدار الثقافية للنشر.
٧. ثروت، منصور (١٣٨٥ش). *آشنايي با مكتبهاي ادبي*. طهران: منشورات سخن.
٨. الجيوسي، سلمى الخضراء (٢٠٠٧م). *الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث*. ط٢، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
٩. الحاوي، إيليا (١٩٨٦م). *في النقد والأدب: مذاهب فنيّة غربيّة عربيّة*. ط٢، بيروت: دارالكتاب اللبناني.
١٠. حسين، عبدالباقي محمد (١٩٩٣م). *سيد قطب؛ حياته وأدبه*. ط٢، المنصورة: دارالوفاء.
١١. الخالدي، صلاح عبدالفتاح (١٩٨٩م). *نظريّة التصوير الفني عند سيد قطب*. ط٢. جدة: دار المنار.
١٢. \_\_\_\_\_ (١٩٩١م). *سيد قطب؛ من الميلاد إلى الاستشهاد*. دمشق: بيروت: دارالقلم؛ الدار الشامية.
١٣. الخزامي، أمال (٢٠١٠م). *سيد قطب؛ في ظلال صاحب الظلال*. بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.
١٤. الخفاجي، محمد عبدالمنعم (١٩٩٢م). *دراسات في الأدب الجاهلي والإسلامي*. القاهرة: دارالجيل.

١٥. الرفاعي، عبدالرحمن (١٩٤٧م). *في أعقاب الثورة المصرية*. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
١٦. سرياز، حسن (١٤٣١هـ). *سيد قطب وتراثه الأدبي والنقدي*. مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة طهران (فرديس فارابي). العدد العاشر، السنة السادسة، صص ٤١-٥٥.
١٧. شلش، علي (١٩٩٤م). *التمرد على الأدب: دراسة في تجربة سيد قطب*. بيروت: القاهرة: دار الشروق.
١٨. العبد، محمد (٢٠٠٧م). *اللغة والإبداع الأدبي*. ط٢، القاهرة: دارالمعرفة.
١٩. عبدالحميد، حسن أحمد (١٤١٦هـ). *أصداء شعر العقاد في شعر سيد قطب*. كلية اللغة العربية، القاهرة، العدد ١٤، صص ١١٩-١٦٤.
٢٠. العقاد، عباس (دون تا). *شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي*. ط٣، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
٢١. غنيم، كمال أحمد؛ غنيم، حنان أحمد (٢٠٠٨م). *خصائص التصوير الفني في شعر سيد قطب*. مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، المجلد السادس عشر، العدد ١، صص ٤١-٩٤.
٢٢. غنيمي هلال، محمد (١٩٦٤م). *النقد الأدبي الحديث*. ط٣، دار الشعب.
٢٣. فضل، صلاح (١٩٨٧م). *إنتاج الدلالة*. القاهرة: مؤسسة مختار للنشر والتوزيع.
٢٤. فورست، ليليان (١٣٧٥ش). *الرومانسية (رمانتيسم)*. الترجمة للفارسية: مسعود جعفري، ط٢، طهران: سعدي.
٢٥. قطب، سيد (١٩٨٠م). *دراسات إسلامية*. ط٥، بيروت: القاهرة: دار الشروق.
٢٦. \_\_\_\_\_ (١٩٨٣م). *كتب وشخصيات*. ط٣، القاهرة: دار الشروق.
٢٧. \_\_\_\_\_ (١٩٩٢م). *ديوان*. جمعه ووثقه: عبدالباقي محمد حسين، ط٢، المنصورة: دار الوفاء.
٢٨. \_\_\_\_\_ (١٩٩٦م). *مهمة الشاعر في الحياة وشعر الجيل الحاضر*. كولونيا: ألمانيا: منشورات الجمل.
٢٩. \_\_\_\_\_ (٢٠٠٦م). *النقد الأدبي: أصوله ومناهجه*. ط٩، القاهرة: دار الشروق.
٣٠. \_\_\_\_\_ (٢٠٠٨م). *الأعمال الشعرية الكاملة*. تقديم: حسن حنفي، دمشق: مركز الناقد الثقافي.
٣١. مندور، محمد (١٩٥٧م). *الأدب ومناهبه*. ط٢، الفجالة: مكتبة نهضة مصر.

٣٢. نازك الملائكة (١٩٨٢م). *قضايا الشعر المعاصر*. بيروت: دار العلم للملايين.
٣٣. الندوي، السيد أبو الحسن (٢٠٠١م). *مذكرات سائح في الشرق العربي*. دمشق: دار ابن كثير.
٣٤. النممن، حلمي (١٩٩٩م). *سيد قطب وثورة يوليو*. القاهرة: ميريت للنشر والمعلومات.
٣٥. النويهي، محمد (٢٠٠٠م). *قضية الشعر الجديد*. بيروت: دار الفكر.
٣٦. هيكل، أحمد (١٩٧٨م). *تطور الأدب الحديث في مصر*. القاهرة: دار المعارف.